العددِ1 21A حزيران 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.21A1 Jun2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

العربيّة الموحّدة عند يوهان فُك

م. م. علي مصطفى إبراهيم
وزارة التربية/المديرية العامة للمناهج
ali.m.ibrahim@aliraqia.iq

م. م. ديانا فاضل ثرثار
المديرية العامة لتربية الكرخ الأولى
dianafadel59@gmail.com

المستخلص:

لا ريبَ في أنّ اللغة العربيّة واحدة مِن الظواهر الاجتماعية التي شغلت المستشرق الألماني يوهان فك، فألّف كتابه " العربيّة " وبعد أن تُرجم تناوله الباحثون العرب عناية ودراسة. ويهدف هذا البحث إلى الوقوف على حقيقة العربيّة الموحّدة التي اختلط مفهومها في ذهن يوهان فُك على أن يقابل ذلك بالضد منها " العربيّة المولّدة"، ودراستها دراسة شافية وافية، وبناء الجسور بينهما بهدف التوصل إلى العربيّة " الموحّدة" في كلّ اللهجات العربيّة، التي تصلح للبلاد الإسلامية، وهذه الصفة التي اكتسبتها قبل مجيء الإسلام من الشعر العربي القديم عند أعراب البادية، فتوحيدها مهم في المجتمع العربي قاطبة، بل ضرورة تجتهد بنفسها للحد من الهفوات والعقبات التي وقعت فيها، فهي الوحيدة التي حافظت على بنيتها من الانحراف والانقراض قبل الإسلام، وعلى الرغم من حدوث بعض العوامل، منها: الحج، والأسواق وحتى الهجرة والحروب وإلى غير ذلك، إلّا أنّها لم تكن مؤثرة وكافية لتوحيدها، إلى أن جاء العصر الإسلامي ونزل القرآن الكريم، قال تعالى: "بلسان عربي مبين "سورة الشعراء: 195، فعزّز من مكانتها وأهميتها، إلّا أنّه سرعان ما ظهر اللحن بفعل الخوض في الفتوحات الإسلامية، فضلًا عن اختلاط العرب بغيرهم، وكان لذلك أثر كبير في ظهور العربيّة المولّدة (الجديدة) – بحسب يوهان فك – وذهب إلى ضرورة أخذ العربيّة الفصحى من فصحاء البادية أنفسهم، وفي هذا الإطار نجد إنّ العربيّة قد تمكنت من مواكبة العصور التاريخية جميعها، فضلًا عن دورها الفعّال في حفظها وثباتها، فتناول يوهان فك أثر الإسلام وأهميته في حياة العربيّة الفصحى وأطوارها التي مرّت بها، مرورًا بالعصر الأموي والعباسي، وحتى انحسارها في العصر السلجوقي، إذ ظلت فقط لغة الدين والفلسفة الكلامية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربيّة – المستشرقون – يوهان فُك – العربيّة المولّدة.

Abstract

There is no doubt that the Arabic language is one of the social phenomena that attracted the attention of the German orientalist Johann Fück. He authored his book “Arabic”، which، after being translated، received considerable attention and study from Arab researchers.

This study aims to investigate the true nature of “unified Arabic،” a concept that became somewhat confused in Johann Fück’s understanding، and to contrast it with its opposite، “generated (or modern) Arabic.” The research seeks to examine both thoroughly and to build bridges between them in order to arrive at a form of “unified” Arabic across all dialects–one suitable for the Islamic world.

This characteristic was acquired even before the advent of Islam، through ancient Arabic poetry among Bedouin Arabs. Therefore، unifying the language is of great importance for Arab society as a whole، and indeed a necessity، as it strives to reduce the errors and obstacles it has encountered. Arabic is the only language that preserved its structure from deviation and extinction prior to Islam.

Despite the occurrence of several factors–such as pilgrimage، markets، migration، wars، and others– these were neither influential nor sufficient to unify it. It was only with the Islamic era and the revelation of the Holy Qur'an، as stated in the verse: "in a clear Arabic tongue" (Surah Ash-Shu'ara: 195)، that its status and importance were reinforced.

However، linguistic errors soon began to appear due to the Islamic conquests and the interaction of Arabs with non-Arabs. This had a significant impact on the emergence of "generated (new) Arabic،" according to Johann Fück. He argued for the necessity of deriving Classical Arabic from the eloquent Bedouins themselves.

In this context، Arabic has demonstrated its ability to keep pace with all historical periods، along with its effective role in preserving its stability and continuity. Johann Fück discussed the impact and importance of Islam on Classical Arabic and the stages it underwent– from the Umayyad and Abbasid periods to its decline during the Seljuk era، when it remained primarily the language of religion and theological philosophy.

Keywords: Arabic language– Orientalists– Johann Fück – Generated Arabic.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، أمّا بعد:

لقد حظيت اللغة العربيّة منذ نشأتها الأولى باهتمام العلماء والدارسين، وقد صبّوا جلّ اهتمامهم لمعرفة أصول نشأة هذه اللغة، ولاسيّما قبل عصر التدوين، ومعلوم أنّ نزول القرآن الكريم أضفى أهمية مضاعفة للغة العربيّة، جعلت الباحثين في مهمة حساسة وضرورية لمعرفة تاريخ العربيّة، ومراحل تكوينها، وأثرها وتأثرها بأخواتها من الفصيلة السامية، وما إن تداخلت ثقافات الأمم، حتى جاء دور الناطقين بغير العربية لدراسة هذه اللغة المترامية في القدم ؛ ولأنّها ارتبطت بكتاب سماوي، فقد نالت قدسيةً مهمة فضلًا عن أهميتها المعروفة، وما إن جاء دور المستشرق الألماني (يوهان فُك)، ليبحث في أعماق اللغة الموحَّدة التي كانت نتيجة اتحاد عدة لهجات من شبه جزيرة العرب، متعقبًا تاريخها بدقة علمية مسلطًا الضوء على أطوارها، ومراحل تكوينها بدءًا من العصر الإسلامي، باحثًا في الروابط اللغوية في عهد الدولة العربيّة الأموية (11–132 هـ)، (632–750 م)، مؤصلًا للغة العربيّة المشتركة منذ عصر ما قبل الإسلام، مرورًا

بصدر الإسلام، وما أضفاه نزول القرآن من توحيد للهجات العرب، وصولًا إلى العصر السلجوقي وانحسار اللغة العربيّة.

وبناءً على ما تقدّم جاء هذا البحث في المقدمة المذكورة آنفًا، و تمهيد، ومبحثين، خصص التمهيد: للحديث عن وصف الكتاب وأهميته، أمّا المبحث الأول: فخصص للحديث عن ملامح اللغة العربيّة عند (يوهان فُك)، وجاء على محورين، الأول: خصص للحديث عن مسألة ارتباط العربيّة بظهور الإسلام، والمحور الآخر: جاء فيه الحديث عن العلاقات اللّغوية في عهد الدولة العربيّة الأموية حتى انحسارها في العصر السلجوقي، أمّا المبحث الثاني: فجاء الحديث فيه عن العربيّة المولّدة، كون هذه القضيّة تمثل الجانب الأبرز في كتاب العربيّة (ليوهان فُك). ثمّ ختم محور البحث بخاتمة تتضمّن أهم النتائج التي وقفنا عليها، مع قائمة بالمصادر والمراجع.

التمهيد: كتاب (العربيّة ليوهان فُك) في سطورٍ

وصف الكتاب:

عنوانه: العربيّة: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تأليف، يوهان فُك، مع تعليقات المستشرق البروفيسور الألماني " أنطوان شبيتالر". وله ترجمتان من اللغة الألمانية إلى اللغة العربيّة، الأولى: لعبد الحليم النّجار، والأخرى: للدكتور رمضان عبد التّواب سنة (1980م)، وهو أستاذ العلوم اللغوية بكلية الآداب، جامعة عين شمس[1]، وهذه الترجمة التي اعتمدناها في بحثنا هذا.

احتوى الكتاب على تمهيد، تحدث فيه عن ظهور الإسلام وأهميته في العربية الفصحى، فضلًا عن أربعة عشر فصلًا، تناول فيها تاريخ العربية بدءًا من عهد الدولة العربية الأموية (11–13هـ / 632 –750 م) وصولًا إلى العهد السلجوقي بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فضلًا عن ملحق لمادة (ل ح ن) ومشتقاتها، درس فيهِ هذا الجانب دراسة دلاليّة[2].

أهميته:

يعبّر عنها الدكتور أحمد محمد قدور، بقوله: " فالكتاب يعرض بكلّ اقتدار لمسائل بالغة التعقيد تتصل بتاريخ العربيّة وتطورها ولهجاتها مِمّا تنوء به جهود العصبة من أولي العزم وأهل الذكر"[3]. مؤكّدًا مكانته المرموقة في الدراسات اللغوية الحديثة التي أنشأها المستشرقون[4].

ويذكر المستشرقُ الألماني أنطوان شبيتالر في تعليقه على مكانة هذا الكتاب بالنسبة للمتخصصين في علم العربيّة، وما يقدمهُ من توجيهٍ فكري للقارئ، فيقول: "فإنّ الكتاب في مجموعه ليس في الواقع إلّا نوعًا من تاريخ التطور للعربيّة، أو على وجه الدقة، للعربيّة المولّدة"[5].التي انتقلت بعد وفاة الرسول محمد (صلّى الله عليه وسلم) مباشرة، وذلك عن طريق الغزوات الكبرى إلى خارج حدودها القديمة آنذاك[6].وإنّنا نجد أنّ الدكتور أحمد محمد قدور يُتابع شبيتالر في حقيقة كتاب "العربيّة" إلى أنّه وُضع لدراسة العربيّة المولّدة، في حين يخالفهم الأستاذ خالد بسندي، فيقول: " فهو كتاب يؤصل لتاريخ العربيّة، ويلحّ على عربية البدو أو عربية البادية كما اصطلح عليها "فُك" وسماتها، و بين مدى قرب عربية الدولة والعربيّة التي انتهجها الشعراء، والكُتاب والخطباء في العصور اللاحقة خاصة في العصر العباسي والعصر السلجوقي "[7].

ومِن الجدير بالذكر أنّ كتاب " العربيّة" قد أُهدي آنذاك إلى أستاذ العربيّة القديم " أوجست فيشر"، وقد تضمّن العديد من التعليقات والتوجيهات المفيدة ولاسيّما للقارئ [8].

المبحث الأول: ملامحُ اللّغة العربيّة عند يوهان فُك

سنتحدّث في هذا المبحث عن ارتباط اللّغة بعصورها التاريخية التي سلّط عليها (يوهان فُك) الضوء بدءًا من ربطه فكرة أنّ الإسلام يقرّر مصيرَ العربية وصولًا إلى اللغة العربية في عهد السلجوقيين، ويمكن توضيحها عن طريق المحورين الآتيين:

1-المحور الأول:

ويتطرقُ فيه إلى مسألة ارتباط اللغة العربيّة بظهور الإسلام، وأنّها قد أصبحت لغة الدين والحضارة في العالم الإسلامي، عندما رتل الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) القرآن الكريم على قومه بلسان عربيّ مبين. وهذا أدى بدوره إلى تأكيد رابطة وثيقة بين لغته وبين الدين الجديد، وأنّ مستقبل العربيّة انطلق من هذهِ المرحلة[9]. لمرونتها ولسعة اتساعها في التعبير والبيان[10]. وبذلك يصحّ القول إنّ العربيّة مفتاحُ الإسلام وبابه[11].

وما يؤكّد ما ذهب إليه (يوهان فُك) في دور الإسلام في تاريخ اللغة العربيّة، قول الدكتور محمود فهمي حجازي: " كان ظهورُ الإسلام وما أعقب الفتوح الإسلامية في منطقة واسعة من العالم القديم أهم الأحداث التي نقلت اللغة العربيّة من مجالها البدوي المحدود في شمال الجزيرة العربيّة لِتصبح بمضي الوقت أهم لغات الحضارة في العصور الوسطى"[12].

كما نجد أنّ (يوهان فُك) يشير في مقدمة كتابه: " إلى الطابع المعياري الذي استمسك بهِ اللّغويون، والذي أخذ به أهل الدين وأولو الأمر" [13]. فقال: " هذهِ العقيدة التي جعلت من العربيّة الفصحى نموذجًا مفروضًا، ومثلًا على يقتفيه كلّ كاتب عربيّ، جعلت من العسير بمكان أنْ نحصلَ على صورة واضحة للنمو والتطور الذي أصاب العربيّة، ككلّ لغة حيّة، في مدة تربو على ثلاثمائة وألف عام"[14].

لكن مرحلة جمع اللغة كما وصلت إلينا أخبارها من بطون الكتب، تثبت وجود لغة فصيحة استقاها اللغويون من أعراب البوادي، ويتحدّث الدكتور محمود فهمي حجازي عن جمع اللغة بجهود اللغويين، قائلًا: " وإن لم يكن جمعًا شاملًا يهدف إلى استيعاب الحياة اللغوية في أنحاء جزيرة العرب، وإنّما اقتصر عمل هؤلاء اللغويين على تلك القبائل التي لاحظوا أنّ لغتها تشبه خصائصها المختلفة اللغة الفصيحة ومن ثم وصفت هذهِ القبائل بأنّها فصيحة"[15].

ويُفهم من هذا النص أنّ اللغويين كانوا على دراية عالية ودقيقة بمستويات اللغة وتطورها، وما طرأ عليها من تغيير، على وفق معيار الفصاحة الذي وضعوهُ بوصفه ضابطًا لأخذ اللغة عن القبائل التي حددوا الأخذ عنها، وهذا يُعدُّ مقياسًا لمعرفة نمو اللغة وتطورها. وعليه فإنّ: " جوهر القالب اللغوي وحقيقته هو الذي يميز الطابع الصحيح للعربيّة الفصحى"[16].

ومِن أهم الأمور التي عقّب عليها (يوهان فُك) هو احتفاظ العربيّة الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي، وهي من السمات اللغوية القديمة التي خسرتها اللغات الساميّة – باستثناء البابلية القديمة– على حدّ ما ذكره، قبل عصر نموها وازدهارها فضلًا عن دور القرآن الكريم في الحفاظ على التصرف الإعرابي، إذ يقول: " فإنّ حرية الحركة في بناء جمل

القرآن لا تترك أثرًا للشك في إعرابه كذلك انظر مثلًا سورة فاطر (28/35) ﴿ٱ سج سح سخ سم صح صخ﴾ ... فمثل مواقع الكلمات في هذه الآيات... لا يمكن أنْ يكون إلّا في لغة لا يزال الإعراب فيها حيًّا صحيحًا"[17]. فاستدلّ بها لأهمية الإعراب: " في لغتنا، والدليل أنّ القرآن باقٍ إلى أنْ يشاء الله، وعليه فإنّ العربيّة في كلّ زمان ومكان لا تخلو من الإعراب، على عكس رؤيته بأنّها لغة سطحيةٌ"[18].

وقد اعترض أنطوان شبيتالر على المثال القرآني الذي ساقه (يوهان فُك) قائلًا: " وأنا لا أعتقد في أنّ حرية الكلمات في داخل الجملة تدل بالتأكيد على وجود الإعراب "[19]. ويمكن: " أنْ يضبط برفع (الله) ونصب (العلماء)، غير أنّه ينافي العقل، بيد أنّ الفهم الصحيح لا يتيسر بترتيب آخر للكلمات؛ فإنّه لابدّ من وضع كلمة (العلماء) في نهاية الجملة، إذا أُريد الاحتفاظ بالمعنى المقصود، الذي يجعل النبر على هذه الكلمة، فإذا جعلت الجملة: " إنّما يخشى العلماءُ الله "، كانت من قصر الفاعل على المفعول، ووضع الفاعل في آخر الجملة إنّما ينشأ بالضرورة من أصل وضع تركيب "إنّما"؛ إذ المعنى: جزء الناس الذي يخشى الله هو العلماء" [20].

ونلخص في حقيقة ذلك: " إنّ المتأمّل في قول يوهان فُك يلمس تناقضًا في قضية طرحه لظاهرة الإعراب، إذ في البدء يصفه بإعجاب شديد ويجعله معيارًا للغة الفصحى، ويثني على جهود النحويين في تكلّفهم للقواعد التي وضعها، ولكنّ الغريب سرعان ما يبدي بألسنتهم على اللغة الفصحى بأنّها لغة سطحيّة، وما الإعراب إلّا حيلة في الانتقال من تعبير إلى آخر حتى غدت الفصحى معيارًا فارقًا بين الطبقات المثقّفة، وهذا الأمر ليس غريبًا ؛ إذ أراد الوصول إلى العربيّة المولّدة، وأنّ تخلص العربية من ظاهرة الإعراب هو قرينة أكيدة على دخول الألفاظ واللهجات العاميّة في الاستعمال للتراكيب العربيّة " [21].

و يُصرّح أخيرًا (يوهان فُك) بقوله: " أنّه لم يقم عند محمد ومعشره فرق هام بين لغة القرآن ولغة العرب، أي قبائل البدو، ولا يمنع من ذلك أنّه كانت هناك فروق بين لهجة مكة ولهجات البادية " [22]. ودليل هذا هو تحرّر مكة من تحقيق الهمز في قواعد رسم المصحف الشريف، فأصبحت لغة القرآن –على الرغم من اختلافها مع لغة الشعراء اختلافًا واضحًا– أثرًا لغويًا، وصورة فذة لا يماثلها أثر لغوي في العربيّة في أي حالٍ من الأحوال[23].

يقول الأستاذ فندريس: "ولولا مقاومةُ المجتمع للتفكك اللغوي لأصبح العالم أمام حشد من صور التكلم التي لا تزيدها الأيام إلّا تفريقًا، ولكن الذين يتكلمون إحدى اللغات يميلون دائمًا إلى المحافظة عليها كما هي، وكذلك التبادل الكلامي الذي يحدث باستمرار بين أعضاء مجموعة اجتماعية واحدة يؤدي إلى توحيد اللغة "[24].

بناءً على رأي فندريس نلحظ أنّ الوحدة اللغوية ضرورةٌ اجتماعيةٌ قد تحققت بفضل نزول القرآن الذي كان له تأثيرٌ عميقٌ، وكذلك لبعض العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والدينية. و يذهب هانز فير، قائلًا: " لاشكّ أن لوجود لغة مكتوبة (موحّدة) في الأساس في الأقطار العربية كلّها من العراق إلى المغرب، قيمة عظيمة للذين يتكلمون العربيّة، مثاليًّا وعمليًّا، إذ هي رمز وحدتهم الحضارية القديمة، ووحدتهم السياسية في الوقت الحاضر، لهذا فإنّه يمكن الاستنتاج أنّه لا يوجد سبب يجعلنا نتوقع أن يُستبدل باللغة المكتوبة لهجة محلية، أو أن تنحى عن الاستعمال العملي " [25].

وقد انمازت – العربيّة الفصحى – بأنّها زمانية ومكانية لأنّها مرتبطةٌ بالقرآن الكريم مع حرصها الشديد على بقائها في جميع حالات التوحد أو الافتراق، وأصبحت هي المحور الأساس الذي يدور حولها كلّ من النّحويين واللّغويين والبلاغيين، بما فيهم الشّعراء والأدباء، والكُتّاب والمؤلّفين[26]. فضلًا عن أنّها تعدّ: " إحدى مقومات وجودنا الإنساني والحضاري، وهي هويتنا التي تميزنا من الآخرين، وهي الوعاء الذي يحتوي تراثنا بمختلف صوره التاريخية والفكرية والدينية والثقافية وغيرها، وعن طريقها حُفِظ ماضي الأمة العربيّة، و هي التي تربط المشرق العربي بمغربه بأواصر التفاهم والتجاوب"[27]. إذن: " هي لغة موحَّدة وموحِّدة... ولعلّ خير دليل على ذلك هو قدميتها بين لغات العالم من جهة، وتواصلها الذي يعتبر من أهم خصائصها من جهة ثانية، وهاتان السمتان (القدمية والتواصل) دعامتان أساسيتان يضفيان عليها صفة الخلود بين لغات الأرض " [28].

2- المحور الثاني:

ويشير فيه يوهان فُك إلى مسألة تأثير نقل بعض القبائل البدوية لهجاتها إلى عدة دول عن طريق غزوات الفتوحات الإسلامية ولا سيّما بعد وفاة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) سنة (11 هـ -632هـ)، وعدّ هذا الأمر إيذانًا بشروق عصر جديد للغة العربية المولّدة – بحسب رأيه – و له تأثير إيجابي في صقل الخصائص اللهجية العربيّة عندهم إلى حد بعيدٍ[29]. ثم: " يتجه نحو تحليل المستوى اللغوي الذي نشأ بين العرب والأعاجم زمن الفتح " [30].

ويشير (يوهان فُك) إلى جهود الخلافة الراشدة، التي عملت على توحيد اللغة في البلدان الإسلامية محافظةً عليها من الاضمحلال والانحلال، وإنشاء لسان مشترك بين قبائلها (قبائل البدو) التي اكتسبت على إثرها قوة وفتوة[31]. و: " نشأت لغة بدوية مشتركة وضعت الأساس لعربية القرون المتأخرة الفصحى " [32].

ثمّ يحلّل ما وصلت إليه العربيّة من مستوى لغوي نتيجة الفتوحات والاختلاط بالأعاجم ودخول العبيد والإماء (جماعات غير عربية)، وقد خلقوا مشكلة لغوية غير هينة، فنشأت لغة التفاهم للضرورة،التي اعتمدت أبسط وسائل التعبير اللغوي، يقول (يوهان فُك): " فبسّطت المحصول الصوتي، وصوغ القوالب اللغوية، ونظام تركيب الجملة، ومحيط المفردات وتنازلت عن التصرف الإعرابي، ونظام تركيب الجملة، واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها، كما ضحت بالفرق بين الأجناس النحوية، واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة عن مواقع الكلمات في الجملة، للتعبير عن علاقات التركيب"[33].

ويرى (يوهان فُك) أنّ ظهور اللحن في أواخر أو في النصف الثاني من القرن الأول كان بسبب هذا الاختلاط، فضلًا عن تأثير أسرى الحرب، والاختلاط على صعيد الزواج، وهذا ما ذهب إليه أيضًا معظم اللغويين القدامى والمحدثين[34]،

و: "إنَّ ترك التصرف الإعرابي كان من أول السمات على الخطأ في طريقة التعبير"[35]. وبناءً على ذكره لوقوع الأخطاء في التعبير، يقول: "... في الثلث الأخير من القرن الأول، كان قد أخذ نمو العربيّة المولّدة – التي تكونت من العوائد اللغوية الراجعة إلى اللهجة الدارجة في مناطق العربيّة القديمة – حدًّا لم تتوقف فيه الأخطاء اللغوية عن الظهور، حتى في الدوائر الأولى من المجتمع العربي" [36].

ويستنتج الأستاذ خالد بسندي من قول (يوهان فُك): " إنَّ اللغة العربيّة الفصحى لم تكن في مستوى واحد، ولم تكن خالية من وجود هنات لغوية على ألسنة ناطقيها"[37]. ويؤكد (يوهان فُك) إنّ بعد انتهاء القرن الهجري الأول فشى اللحن حتى لدى أصحاب المناصب الرفيعة في الدولة الأموية، ولم يعد أمرًا طبيعيًا[38].وعليه فقد نشأ مبدأ مهم، أُطلق عليه: "تنقية اللّغة العربيّة" [39].

والعربيّة الأدبية (الموحّدة) التي يقصدها (يوهان فُك) هي ذاتها الفصحى القديمة (فصحى التراث، وفصحى الشعر العربي القديم)، بما فيها الخطب والأمثال، وأسجاع الكهان، حيث هي المعيار الحقيقي للخطأ والصواب[40].

وأخيرًا يقول (يوهان فُك): " ولم يؤثر سقوط الدولة العربيّة الأموية سنة (132هـ –750م) في مكانة اللغة العربيّة بل لقد شهد عصر الازدهار في أوائل الدولة العباسية أقصى درجات العناية بالقواعد العربيّة"[41].

كما يؤكّد أنّ العصر الذهبي للأدب العربي انطلق في تلك الحقبة الزمنية، وحتى انحلال الدولة العباسية إلى دويلات عديدة مستقلة حوالي سنة (935هـ) حيث لم يُقلّل من مكانة العربيّة، وحتى في العصر السلجوقي سنة (447هـ) الذي فضلت فيه اللغة الفارسيّة (الحديثة) على العربيّة وجعلها اللغة الرسميّة، وبقيت عندهم اللغة العربيّة لغة الدين والفلسفة الكلامية[42].

فالعصور العربيّة التاريخية لها دورٌ بارزٌ في تخليدها وحفظها من الهجمات والانقراض كما انقرضت بعض اللغات آنذاك، وكان وما زال القرآن الكريم أُنموذجًا لها ومثلها الأعلى في توحيدها وإثرائها، ولا ريبَ في أنّها قد أثبتت مناعتها ووجودها، وخرجت قوية معافاة بعد كلّ ما حلّ بها[43]. مِمّا أُجبر المستشرقون مؤخرًا إلى الإعلان عن عقد مؤتمر في بلاد اليونان، نصّ على: " إنّ اللغة العربيّة الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد الإسلامية والعربيّة للتخاطب والكتابة والتأليف، وإنّ من واجب الحكومات في هذه البلاد أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية؛ لتقضي على اللهجات العاميّة التي تصلح لغة أساسية لأُمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق " [44].

المبحث الثاني: العربيّة المولّدة

يذكّرُ الدكتور محمد أحمد قدور أنّ القضية الأساسية التي بنى عليها يوهان فُك كتابه (العربيّة) هي قضية تطور اللغة العربيّة، وتناولها تحت مصطلح (العربيّة المولّدة) يومئذ[45].

وقد أوردنا آنفًا أنَّ (يوهان فُك) كان يُرجّح ظهور العربيّة المولّدة بعد وفاة رسولنا الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) سنة (11هـ) وما تبعها من فتوحات إسلامية كان من نتيجتها وقوع الاختلاط، وفي هذا الشأن يقول: " لكن الأمر كان مختلفًا بالنسبة إلى أسرى الحروب في العهد الأول للفتوحات الإسلامية، فقد كان عددُ هؤلاء وفيرًا... و كان لهم أنْ يشتروا أنفسهم... وقد تألّفت من هؤلاء العتقى أو الموالي بعد أجيال قليلة الطبقات الدنيا والوسطى من المجتمع الإسلامي، وامتلكت العناصر الطامحة من هذهِ الطبقات زمام اللغة التي تنطقها الطبقة العربية العليا، على حين بقي السواد الأعظم عند أسلوب لغوي دارج ظهرت فيه، بواسطة ترك التصرف الإعرابي قبل كلّ شيء سمات العربيّة المولّدة"[46]. وبسبب هذهِ اللغة الدارجة في القرن الأول، أخذت بعض الخصائص المحلية في المدن المختلفة – كما يبدو– على حدّ قول (يوهان فُك) فنشأت اللهجات المتأخّرة في المدن الإسلامية.

أمّا العربيّة: " التي نجدها في الأدب اليهودي والنصراني في القرون الوسطى، إنّما نشأت من الاستعمال اللغوي... لغة التخاطب والتفاهم" [47]. وإنّ الفرق الحقيقي بين الفصيحة والمولّدة قائمٌ على: "تغيّر في تكوينها بعد ترك التصرف الإعرابي من أماراته الظاهرة، وبهذا نهجت العربيّة المولّدة منهجًا اجتازته جميع اللغات السامية الأخرى قبل ذلك بكثير "[48].

ومِن الجدير بالذكر بأنَّها قد أخذت بُعدًا آخر عند العلماء في دراستها، فمنهم مَن رفض مصطلح " العربيّة المولّدة"، ومنهم مَن دافع عن (يوهان فُك) وصرّح بأنّه يريد بها العربيّة الوسيطة أو المتوسطة[49]. وهذه التسمية أطلقت عليها في العصر الحديث إلى جوار العامية والفصحى[50]. هذا يعني أنّها: "تقع بين الفصحى ولهجاتها العاميّة"[51].

أمَّا المبدأ الذي اعتمدهُ اللغويون في تنقية اللغة فجعل عربية البدو مثلًا أعلى للكلام والتحرير الكتابي؛ وذلك لبعد المناطق البدوية عن مناطق التأثُّر والاختلاط، و حتى المجتمع الراقي لم يتأثر أول الأمر بالعربيّة المولّدة، أي: حتى القرن الثالث[52]. ومن أبرز مظاهر تغير اللغة هو: " اختلاف لغة الأدب في شعر المحدثين في أوائل العصر العباسي كشعر بشار، وأبي العتاهية، وابن الأحنف، اختلافًا كبيرًا من حيث صوغ القوالب، وتركيب الجمل، والثروة اللفظية وطرق التعبير، عن لغة شعراء البادية"[53]. في حين عدّ اللغة الدارجة متفاهمة أو أخذت بالتفاهم في الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المجتمع، وتعدّ لغتها (عربيّة مولّدة) منذ عصر الفتوحات الإسلامية في نظر التاريخ اللغوي[54].

ويذكر الدكتور أحمد محمد قدور أنّ ما ذهب إليه (يوهان فُك) في شأن المولَّد: "يخالف ما أجمع عليه علماء العربية القدامى الذين جعلوا (المولّد) مرتبطًا بالدلالة اللغوية الناشئة من ظهور أجيال محدثة غلب عليها اختلاف الأعراق، وقد حدّدوا بداية لهذا المولّد تتأخّر عن التاريخ الذي افترضه (فُك) بنحو قرن ونصف"[55]. لأنّهم جعلوا سنة (150هـ) آخر ما يستشهد به وهو الحد الفاصل بين الفصيح والمولّد على صعيد المدن، وحدّدوا القرن الرابع الهجري على صعيد البدو، بناءً على قلة اختلاف أهل البوادي وما عُرف عنهم من قوة في الفصاحة، وما ذهب إليه (فُك) يخالف دلالة (المولّد) التي اتسعت في القرن الثاني الهجري، الذي شَهِد توسع اللحن وانحراف الألسنة آنذاك[56].

و يذهب يوهان فُك إلى أنّ ترك الإعراب – الذي عاش قرونًا طويلة في لغة البادية – كان هو الفرق الخاص بين الطبيعة الحقيقية بين العربيّة الفصحى والعربيّة المولّدة [57]. ولكن أنطوان شبيتالر يُجزم بعدم ثقته بذلك، قائلًا: " فإنّه بصرف النظر عن أن ملاحظة لهجات البدو المعاصرة، لا تؤدي إلى الخروج بهذه النتيجة فإنّ الأخبار العربية التي يعتمد "فُك" عليها، لا يمكن في نظري أن تؤخذ على معناها الحقيقي ؛ فإنني لا أميل إلى القول بأنّ العربيّة، كما نعرفها من الشعر العربي القديم، تساوي تمامًا في كل شيء لغة البدو على الإطلاق، وهذا يعني ببساطة أن هذه الأخيرة لا تحتاج إلّا إلى الإيقاع والوزن، لكي تصبح شعرًا"[58].

وقد سرد يوهان فُك أمثلة عن صحابة رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) منها: " إنّ صهيب بن سنان، وهو وإن كان عربي الأصل، إلّا أنّه اختطفه البيزنطيون في طفولته فربوهُ، ولذلك كان ينطق العربية بلكنة بيزنطية"[59].

ثمّ عاد مؤكّدًا تلك المسألة فيقول: إنَّ التحرر من الإعراب قرينة أكيدة على العربيّة المولّدة لا العكس، أي: إنَّه ليست العربيّة المولّدة منحصرة في التحرر من الإعراب"[60].

وقد أشار الدكتور رمضان عبد التواب إلى مسألة الإعراب، ذاكرًا آراء العلماء فيها، قائلًا: " يرى جميع النحاة العرب إلّا أبا علي... المعروف بقطرب (المتوفى206 ه) أنّ حركات الإعراب تدلّ على المعاني المختلفة، التي تعتور الأسماء من فاعلية أو مفعولية أو إضافة أو غير ذلك، فيقول أبو القاسم الزجاجي (المتوفى 337ه) في ذلك: " فإن قال قائل: قد ذكرت أنّ الإعراب داخل في الكلام، فما الذي دعا إليه واحتيج من أجله ؟ فالجواب أن يقال: إنّ الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافًا إليها، ولم يكن في صورها وأبنيتها، أدلّة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني" [(61)].

ولا ننسى فكرة تواطئ العلماء التي رفضها الدكتور علي عبد الواحد وافي قائلًا: "وإذا أمكن أن نتصور أنّ علماء القواعد تواطئوا جميعًا على ذلك، فإنَّه لا يمكن أن نتصور أنّه قد تواطأ معهم عليه جميع العلماء من معاصريهم..."[(62)].

وإنّ الحقيقة الثابتة عند (يوهان فُك) أنّ أهل اللغة كانوا يختلفون إلى عرب البادية ليدرسوا لغتهم حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فهي دليل على أنّ التصرف الإعرابي كان في أوج ازدهاره آنذاك[(63)].

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: " إنّ العربيّة الفصحى ذات واقع لغوي حديث هو استمرار لواقع لغوي فصيح سبقهُ مع وجود اختلاف بين كلا الواقعين شأن الكائن الحي المتطور"[(64)].

في حين عدّ الدكتور حلمي خليل (المولّد) من ضمن تطور الألفاظ التي تظهر مع تطور الحياة العربيّة من البداوة إلى الحضارة[(65)]. وهذا: " يلحق بالفصيح دون العامي، والفرق بينهما كبير"[(66)].

وبهذا توطدّ تمامًا أنّ العربيّة المولّدة عند (يوهان فُك): " أمرٌ لا وجود له ؛ لأنّ الموجود حقًّا هو العربيّة الفصحى التي اعترتها مظاهر التغير التي حددناها سابقًا، والتي يمكن أنْ تشير إليها كلمة المولّد " [(67)]. ومصطلح غير واضح، وأنّها: " قد أخذت أشكالًا متعددة وارتبطت بالجنس المتحدِّث بالعربيّة وبالمكان والزمان"[(68)]. وإنّما العربيّة المولّدة عنده تنطبق على اللهجات الدارجة التي جاءت على ألسنة الشعراء بعد عصر الاحتجاج.

الخاتمة

بعد التطواف في رحاب كتاب " العربيّة " التمسنا الجهد الكبير الذي بذلهُ المؤلّف، فضلًا عن اطلاعنا على الدراسات اللغويّة للوصول إلى حقيقة تاريخ العربيّة " الموحّدة " ومراحل تكوينها وتطورها ولهجاتها، ويمكن بيان أهم النتائج التي توصل إليها البحث على النحو الآتي:

1. ركز يوهان فك بشكل دقيق في بدايات العربية في عصر ما قبل الإسلام، ولا سيّما عند فصحاء العرب، والبدو على وجه الخصوص.
2. وضح أهمية أخذ اللغة الفصيحة عن أعراب البادية، على الرغم من تعدد اللهجات، إلّا إنّه رجّح وجود لهجة تفوقت على قريناتها، وعنها أخذت أغلب اللغة الفصيحة.
3. استمرار رحلات العلماء حتى في القرن الرابع الهجري إلى البادية، وهذا يثبت حاجة أهل المدينة إلى لغة أهل البادية الفصيحة، ولا سيّما اللغة المعربة، لكنه لا يقضي بأن جميع البدو يتكلمون اللغة المعربة.

4. يعد مرحلة ما بعد وفاة الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وسلم) بداية لدخول الألفاظ المولّدة للعربية، بسبب الفتوحات الإسلامية، ووقوع الاختلاط، زيادة على ذلك مسألة الإماء والأسرى الذين تعلموا اللغة حديثًا، ولم تسعفهم إمكانياتهم على تعلّم اللغة الفصيحة.
5. كان لنزول القرآن الكريم في بيانه المعجز، أثرٌ مهم في تعزيز مكانة العربية الفصحى، فضلًا عن أنّه رفع شأنها وإثرائها، والإشادة بها عن غيرها من اللغات.
6. إنّ الوحدة اللغوية من الضرورات الاجتماعية، والعربية التي قصدها يوهان فك هي ذاتها العربية الفصحى القديمة، التي اكتملت بنصوص الشعر العربي قبيل الإسلام.

الهوامش:

(1) ينظر: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب عنوان الكتاب.
(2) ينظر: المصدر نفسه: مقدمة المترجم.
(3) مفهوم العربية المولّدة عند يوهان فك في كتابه "العربية": 105.
(4) ينظر: المصدر نفسه: الموضع نفسه.
(5) العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: مقدمة المترجم.
(6) ينظر: المصدر نفسه: 17.
(7) العربية في العربية، يوهان فك: المفهوم والإجراء: 504.
(8) ينظر: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: مقدمة المترجم.
(9) ينظر: المصدر نفسه: 13.
(10) ينظر: الفصحى لغة القرآن: 56.
(11) ينظر: أثر الإسلام في التوحيد اللغوي: 171.
(12) اللغة العربية عبر القرون: 45.
(13) مفهوم العربية المولدة عند يوهان فك في كتابه " العربية ": 107.
(14) العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: 14.
(15) اللغة العربية عبر القرون: 39.
(16) العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: 14-15.
(17) المصدر نفسه: 15.
(18) جهود المستشرق الألماني يوهان فك في اللهجات العربية (دراسة ابيستيمولوجية): 144.
(19) العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: 11.
(20) المصدر نفسه: 12.
(21) جهود المستشرق الألماني يوهان فك في اللهجات العربية (دراسة ابيستيمولوجية): 143-144.
(22) العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: 15 -16.
(23) ينظر: المصدر نفسه: الموضع نفسه.
(24) اللغة: فندريس: 326.
(25) دراسات في تاريخ اللغة العربية: 83.
(26) ينظر: الفصحى لغة القرآن: 33، وأثر الإسلام في التوحيد اللغوي: 209.
(27) جهود المستشرقين الألمان في دراسة اللهجات العربية المحكية، وتحديات العولمة: 865.
(28) لغة الضاد في ملف المستشرقين: **89.**
(29) ينظر: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: 18-19.

(30) مفهوم العربية المولدة عند يوهان فك في كتابه" العربية": 108.
(31) ينظر: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: 19.
(32) المصدر نفسه: الموضع نفسه.
(33) المصدر نفسه: 20.
(34) ينظر: المصدر نفسه: 23.
(35) المصدر نفسه: 21.
(36) المصدر نفسه: 36.
(37) العربية في العربية ليوهان فك: المفهوم والإجراء: 508.
(38) ينظر: مفهوم العربية المولدة عند يوهان فك في كتابه " العربية ": 108.
(39) ينظر: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: 36.
(40) ينظر: العربية في العربية ليوهان فك: المفهوم والإجراء: 508.
(41) العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: 13.
(42) ينظر: المصدر نفسه: الموضع نفسه.
(43) ينظر: أثر الإسلام في التوحيد اللغوي: 352.
(44) لغة الضاد في ملف المستشرقين: 99.
(45) ينظر: مفهوم العربية المولدة في كتابه " العربية ": 106.
(46) العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: 23-24.
(47) المصدر نفسه: 110-111.
(48) المصدر نفسه: 113-114.
(49) ينظر: مفهوم العربية الوسيطة عند المستشرقين الباحثين في تاريخ اللغة العربية: 290.
(50) ينظر: المصدر نفسه: 289.
(51) جهود المستشرقين الألمان في دراسة اللهجات العربية المحكية، وتحديات العولمة: 863.
(52) ينظر: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: 109.
(53) المصدر نفسه: الموضع نفسه.
(54) ينظر: المصدر نفسه: الموضع نفسه.
(55) مفهوم العربية المولدة عند يوهان فك في كتابه " العربية ": 113-114.
(56) ينظر: المصدر نفسه: 114.
(57) ينظر: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: 114-115.
(58) المصدر نفسه: مقدمة المترجم.
(59) المصدر نفسه: 23.
(60) المصدر نفسه: 15.
(61) فصول في فقه اللغة: 371.
(62) فقه اللغة: 163.
(63) ينظر: العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب: 9.
(64) العربية الفصحى: 10.
(65) ينظر: المولد في العربية، دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام: 293- 294.
(66) مفهوم العربية المولدة عند يوهان فك في كتابه " العربية ": 121.
(67) المصدر نفسه: **119.**
(68) العربية في العربية ليوهان فك: المفهوم والإجراء: 514.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
1. دراسات في تاريخ اللغة العربية، ترجمة. د. حمزة قبلان المزيني، ط 1، دار الفيصل الثقافية، الرياض، 1412هـ – 2000م
2. العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، مع تعليقات المستشرق الألماني شبيتالر، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بمصر، 1400 هـ،1980 م.
3. العربية الفصحى، دراسة في البناء اللغوي، هنري فلش، تعريب: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، مارس – 1997م.
4. الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، مكتبة المدرسة، دار الكتاب اللبناني، 1402هـ -1982 م.
5. فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 6، 1420هـ -1990 م.
6. فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر ط 3، 2004 م.
7. اللغة، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي.
8. اللغة العربية عبر القرون، د. محمود فهمي حجازي، دار الثقافة، 1978م.
9. المولد في العربية، دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام، د. حلمي خليل، دار النهضة العربية، ط 2، 1405هـ – 1985م.

البحوث والدراسات

1. أثر الإسلام في التوحيد اللغوي، خالد بن أحمد إسماعيل الأكوع، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1423هـ -2002 م.
2. جهود المستشرق الألماني يوهان فك في اللهجات العربية (دراسة ابيستيمولوجية)، أ. د. سامي الماضي، مجلة دراسات استشراقية، العدد (22)، 1441هـ -2020 م.
3. جهود المستشرقين الألمان في دراسة اللهجات العربية المحكية وتحديات العولمة، د. ظافر يوسف، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (83)، الجزء (4).
4. العربية في العربية، ليوهان فك: المفهوم والإجراء، خالد بن عبد الكريم بسندي، جامعة الملك سعود، بحوث المؤتمر الدولي الثالث، 1442 هـ – 2020 م.
5. لغة الضاد في ملف المستشرقين، د. صالح زهر الدين، مجلة الفكر العربي، العدد (61)، 1990م.
6. مفهوم العربية المولدة عند يوهان فك في كتابه (العربية)، د. أحمد محمد قدور، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (46)، 1414هـ – 1994 م.
7. مفهوم العربية الوسيطة عند المستشرقين، عبد المنعم السيّد أحمد جدامي، مجلة جسور، العدد (4)،2016 م.